معرض الشارقه الدولي للكتاب 2016

نشاط مآلات:

ما الذي أريد بلوغه من عملي ككاتب ؟

2016\11\8

أ.د. صالح أبوأصبع

الكتابة رؤية، الكتابة هوية، الكتابة التزام، الكتابة مسئولية

معرض الشارقة الدولي للكتاب 2016

نشاط : مآلات ما الذي أريد بلوغه من عملي ككاتب ؟

2016\11\8

الكتابة رؤية، الكتابة هوية، الكتابة التزام، الكتابة مسئولية

أ.د. صالح أبوأصبع

في قصيدة لنزار قباني بعنوان" لماذا أكتب " يقول

أكتب ..
كي أفجر الأشياء ، والكتابة انفجار
أكتب ..
كي ينتصر الضوء على العتمة،
والقصيدة انتصار .. ..
*
أكتب ..
حتى أنقذ العالم من أضراس هولاكو .
ومن حكم الميليشيات،
ومن جنون قائد العصابة
أكتب ..
حتى أنقذ النساء من أقبية الطغاة
من مدائن الأموات،
من تعدد الزوجات،
أكتب ..
حتى أنقذ الكلمة من محاكم التفتيش ..
من شمشمة الكلاب،
من مشانق الرقابة ..

لماذا أكتب ؟

هذا سؤال يستفيق كل كاتب ليجده أمامه كل يوم ينتظر الاجابة عليه.

وإذا كان نزار قباني قد أجاب على السؤال بقصيدة تحمل هذه المضامين الثائرة على الواقع العربي، ولكن التساؤل يظل قائما:

لماذا نكتب؟

هل نكتب لأن لدينا ما نحلم به ... أهي كوابيس أهي خيالات جميلة ... أو هي آمال نتمنى تحقيقها منذ الطفولة؟

خططت بعض الكلمات التي نظمتها شعراً، وقرأتها على أبي، والذي أسعده ذلك وكافأني ببعض القروش. منذ ذاك، وأنا أشعر أنني أرغب في الكتابة وفي المزيد من القراءة. كان أخي الدكتور يوسف يكبرني بسنوات قليلة لكنه كان مثالا لنا وحافزاً لي على القراءة، يوفر لي ولأخوتي بعض الكتب والروايات من مصروفه القليل ...

حينما تكون هناك قضية، بحجم قضية فلسطين، وتكون لاجئاً حُرِم منذ طفولته من أن يعيش في بلدته... فذلك أمر يُدمي القلب ويثير مكامن الغضب والألم.

منذ طفولتنا نشأنا ونحن نحلم بالعودة، وكانت المشاعر القومية التي عززها وجود قائد عروبي مثل جمال عبد الناصر قد تأججت، لتزرع فينا روح الانتماء إلى أمة عربية واحدة تحلم بوحدتها، وتحلم بتطهير أرضها من الغاصب الصهيوني. مع هذه المشاعر كانت تنمو في داخلنا مشاعر الإحساس بالمسئولية والالتزام.

الكتابة تؤرقني، بالنسبة لي الكتابة معاناة ... والكتابة تعبير عن قلق داخلي، ولكنه قلق إيجابي، يتم التعبير عنه من خلال الإحساس بالمسئولية.

من أين جاءني هذا الإحساس؟

في وضع عربي يعيش فيه المواطن وهو يعاني من الفقر والأمية والجهل وفيه تتدهور القيم، وفي وضع يعاني تحديات سياسية تمزق الوطن العربي، وتدمر مُدُنَه، وتعمل على تفتيت بنية المجتمعات العربية. إزاء هذا كله أما كان للإنسان العربي أن يشعر بالأسى والألم والتمزق لما يجري في وطنه؟ منذ طفولتي تربيت وأبناء جيلي على أربعة أحلام:

- وطن عربي موحد.
- وفلسطين حرة من النهر إلى البحر.
- وديمقراطية توفر الحرية للإنسان العربي.
- وعدالة اجتماعية تشمل جميع الناس.

هذه الأحلام الأربعة ما زالت أبوابُ الحلم مشرعة باتجاهها ، وشخص بسيط مثلي كان يكتب ولديه ما هو أكثر من إثبات الذات في الكتابة ، وما هو أكثر من الحاجة عن التعبير الجمالي ، كان هدفي من الكتابة التعبير عن الواقع والتعبير عن الحلم الجماعي الذي أشرت إليه ، هذا الحلم الذي أعنيه له دافع سياسي واجتماعي وهو يرنو إلى التغيير ، ويطمح إلى حثِّ الإنسان العربي على تجاوز الواقع المرير الذي يعيشه ، وحيث تشدّه أساليب التنشئة الاجتماعية إلى الخلف التي تجسد السلطة الأبوية، وتحول دون الشخصية المبدعة ، ويشده كذلك أسلوب التعليم التقليدي الذي درج على النمط التلقيني وحفظ المعلومات، بدون المساهمة في تربية الأبناء على التفكير العلمي الناقد .

في ظروف ما نشهده اليوم هناك مهمات أساسية:

1- تحقيق السلام وإطفاء النيران المشتعلة في الأقطار العربية
2- القضاء على قوى الإرهاب وتفكيك بناها الفكرية والتنظيمية
3- إحياء الفكرة القومية والحلم العربي في الوحدة.
4- إعادة قضية فلسطين إلى بعدها القومي.
5- تمكين المرأة.
6- تعميم ثقافة التفكير الناقد والحوار.
7- نبذ الطائفية واحترام العقائد.

إن التزام الكاتب لا ينبع من فراغ إنه العلاقة بين ما يؤمن به الكاتب وما يسعى إليه ويحلم بتحقيقه. ولذا فأنا أكتب وأنا أشعر بأن خياري الوحيد لأن أكون موجوداً أن أكون إنساناً له دور ذو قيمة في الحياة.

الكتابة بالنسبة لي لم تكن وسيلة لتغطية تكاليف المعيشة لقد كتبت لأنني اشعر بأن لدى ما أقوله.

كما أشرت لقد بدأت حياتي مع الكتابة مع الطفولة. وأنا في الخامس الابتدائي كتبت سطوراً ساذجة بدت لي أنها قصيدة مطلعها:

لماذا توجد الحدود؟

لماذا دولة اليهود؟

قرأتها لوالدي وكان أُمياً واعتقل في سجن عكا لمشاركته في ثورة 1936 وهناك تَعلّم فك الخط وقراءة القران والجريدة وشعرت بمدى سعادته لما كتبته، وكافأني بقروش قليلة، وكان ذلك مكافأة قيّمة.

كانت نشاطاتنا الثقافية قد بدأت في مدرسة البيرة الجديدة الإعدادية ومدرسة الهاشمية ومدرسة رام الله الثانوية حيث كان لنا هناك مدرسون ملتزمون يقدّمون بعطاء كبير ويحتضنون المواهب، ويربون فينا حب الوطن والانتماء، ويغرسون في نفوسنا حلمين هما: حلم العودة وحلم الوحدة وفي نادي الأمعري بدأت نشاطاتنا الثقافية

وحينما انتقلت إلى دار العلوم بجامعة القاهرة، كان من ضمن أنشطتها هناك جمعية للقصة وكان يشرف عليها الناقد الكبير الدكتور محمود الربيعي، وكنت إذّاك من بين منتسبيها. وبدأت في كتابة القصة القصيرة، وكان معنا محمود عوض عبد العال وحسن البنداري وفريد شرعان ومحمد الطحاوي ورفعت الشنواني وغيرهم، وكانت الجمعية تستضيف كتّاب القصة الكبار مثل محمد عبد الحليم عبد الله وأبو المعاطي أبو النجا وغيرهما.

وكانت ندوات القصة في الكلية تعقبها مناقشات نقدية وقد أفدت كثيراً من ملاحظات أساتذتي أمثال د. محمود الربيعي والطاهر مكي وصديقي المرحوم الدكتور علي عشري زايد.

وصدرت مجموعتي القصصية الأولى بعنوان " عُراه على ضفة النهر" قدّم لها بدراسة نقدية الدكتور علي عشري زايد. المجموعة بكاملها ترتبط بالقضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية، ولكنها لا تبتعد عن الحلم العربي. المجموعات الأربعة الأخرى صدرت وهي تؤرخ للحظات من الكفاح الفلسطيني ومعاناة الإنسان العربي... والتي تربط دوماً بقضية حرية الانسان العربي وقضية فلسطين باعتبارها قضية كل العرب.

في هذه الحياة كان دوري في الكتابة ينقسم إلى عالمين:

الأول الإبداعي في كتابة القصة. والثاني الأكاديمي وهو ذو شقين:

- **الشق الأول** هو الدراسات الإعلامية التي أخذت معظم اهتمامي وانشغالاتي وذلك لسبب بسيط هو إحساسي بمسئوليتي نحو القارئ العربي حيث كان حقل الدراسات

الإعلامية العربية جديدا على المكتبة العربية وتعاني المكتبة من افتقارها الشديد إلى مراجع إعلامية باللغة العربية.

- **الشق الثاني** هو الدراسات النقدية الأدبية وهي بالنسبة لي كذلك ارتبطت بموضوعات فلسطينية، وذلك ليس بعداً إقليمياً، بمقدار ما هو الإحساس بضرورة إبقاء القضية الفلسطينية حية عبر الكتابة وفي النقد.

الكتابة الإبداعية عندي هي خليط ما بين الخلق والأحلام الذي يمتزج بالواقع ليقدم في النهاية رؤية.

أنا أكتب حين أشعر بدفقات تمتلكني وتستحثني على الكتابة، وأكتب حينما تكون فكرة ما قد استحوذتني، أو يكون موقفٌ أو حدثٌ ما قد أثّرا بي، مما تختزنه الذاكرة فينداح إلى مساحات اللاوعي ويتدفق الشعور بها عندما تحين لحظة ولادة العمل الإبداعي، حيث يتملكني إحساس داخلي شديد الوطأة يطالبني بأن أقول شيئا. وهذا الأمر كان يتم أحيانا أن أستيقظ من حلم لأكتب قصة حلمت بأحداثها عن نضال شعبي. حصل هذا معي في كتابة أكثر من قصة مثل قصة (حينما نتحدّى الموت) و(السراب) و(الجيزاوي يهديني رشاشا) و(المسعودي يحمل راية خضراء). وحين كتبتها خرجت بدون تخطيط لتمزج الحلم بالواقع.

وأشعر أنّ من واجبي أن أكتب ما يحمل رسالة ذات هدف إلى أبناء مجتمعنا العربي، وأعتبر أنّ من واجبي الأخلاقي ألّا أقف صامتاً عن التعبير عما يجري في وطني.

حينما شاهدت كما شاهد الملايين من العرب منتظر الزيدي وهو يقذف حذاءه في وجه بوش الابن في بغداد، اهتزّت مشاعري كما اهتزّت مشاعر الملايين من العرب، ومثل هذا الحادث على سبيل المثال جسدّته في سردية " حذاء في وجه امبراطور الشر " وحينما استشهد عاطف بسيسو الذي اغتاله الصهاينة جسدتُ ذلك في قصة " يا له من نهار ".

قصصي لم تكن بعيدة عن الواقع، يلعب الخيال دوراً في نسيجها النهائي ولكنها تمتاح مادتها من الواقع، قصص عديدة كتبتها عن أناس حقيقين عرفتهم أو سمعت حكاياتهم البسيطة أو البطولية أو تناقلتها وكالات الأنباء، وقصص كتبتها وهي تحكي معاناة الإنسان العربي من القمع الذي يلقاه من أجهزة الأمن التي لا تفرق بين المذنب والبريء والتي تعمل على قمع حرية التعبير والحريات العامة.

اللغة التي أكتب بها لغة سهلة لتصل القارئ العادي، وكثيرا ما أستخدم الجمل القصيرة **التي وصفها الدكتور علي عشري زايد بأنها (في مجملها لغة متوترة، وحادة وسريعة النبض كطلقات مدفع رشاش. الروابط وأدوات الوصل اللغوي تكاد تكون منعدمة بين عباراتها، تستقل كل عبارة بكيانها الخاص. وتمارس تأثيرها الخاص المستقل على وعي القارئ، بحيث يظل وعيه دائما يقظا)**

ما كنت أكتبه هو للإنسان العربي، هذه هي قضيتي الأولى الإنسان العربي بكل أطيافه، لم أؤمن يوماً بالطائفية، ولا بالحدود القطرية التي صنعها الاستعمار، وإيماني الكبير هو إيماني بالإنسان العربي، وحلمي بتحرير فلسطين وأن يعم السلام والرخاء في ديار العروبة وحلمي بوحدة الوطن العربي الكبير كلها أحلام لا تنطفئ.

ماذا أقول في الختام؟

القوى الدولية تلعب في ساحات الصراع العربي ونحن نفتقد البوصلة التي ترشدنا إلى سبيل النجاة من جحيم ما نعيشه.

نشهد الآن الصراعات في العراق وسوريا واليمن وليبيا، والأجندات الأجنبية وقواها التي تتدخل مباشرة في شؤون حياتنا، وقوى الظلام الإرهابية والطائفية البغيضة تعبث بوجودنا، وتعمل بصمت إلى تمزيق هذه البلدان إلى أشلاء ... والغارقون في بحار الدم لاهون عن قضيتهم الكبرى عن أولى القبلتين ومسرى الرسول (صلعم) وهم لا ينظرون إلى المستقبل، وعشرات الالاف الذين ماتوا وقتلوا واستشهدوا كانوا على بعد مرمى حجر من فلسطين.

مع كل هذا الواقع المرير نحن بحاجة إلى **الكتابة برؤية مستقبلية والكتابة للتعبير عن الهوية بالتزام ومسئولية.**

في الإمارات اليوم هناك وزارة للسعادة، وقيادة الإمارات تسعى إلى مجتمع ترفرف فيه السعادة، وهذا الحلم بمجتمع السعادة هو ما أحلم به لمجتمع عربي موحد من المحيط إلى الخليج حر ومحرر وترفرف عليه رايات السعادة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته